والظلم من شيم النفوس فان تجد | ذا عفة فلعلة لا يظلم

لكن المرحوم حموده باشا لم يعامله بافعاله بل حين راى منه ذلك تركه ولم يعاتبه ولا طلب منه يوما لا ولا نوالا واعرب ما وقع من يوسف باشا انه لما مات الى رحمة الله تعالى المرحوم حموده باشا جاء ليوسف باشا رجل من الحمارنة وهم من اعراب بادية تونس وبشره بموته فخلع عليه واكرمه وفرح غاية الفرح كانه بشر بموت اعظم اعدائه ونرجع الى سياق قصة السلطان صابون وهو انه لما فتح له طريق اوجله اعتمد عليها وارسل قوافله منها مرارا ولما كانت مصر من اوجله اقرب من طرابلس جاءت اليها القافلة وذهب بعضها الى بنغازى لقربها ايضا وبلغ الخبر الى السلطان صابون ان قافلته تاجر بمصر وان بها حاكما عادلا جليلا فارسل اليه هديه وكتابا يطلب منه المودة واتصال القلوب فارسل حضرة ولى النعم عسكر باشا هدية للسلطان صابون واصحبها بقاووش ونفرين من اتباعه وكتاب يدل على ما التمسه السلطان صابون من ذلك وكان اذ ذاك فطنت القبيلة المسماة بزغاوه بمرور القافلة عليهم وعلموا انها ليست بذات شوكة فاعتدوا ونهبوا القافلة ووصل القاووش بالكتاب الى السلطان واكرمه ومن معه وارسل قافلة واصحبها القاووش واعطاه هدية جليلة ولما حازوا بلاد الزغاوه خرجوا عليهم وكبسوهم وقتلوا القاووش والمقاتلين من اهل القافلة واخذوا ما فيها من الاموال وبلغ الخبر

الى السلطان صابون فارسل جيشا كثيفا فقتل من الزغاوة مقتلة عظيمة وحين بلغ الخبر الى حضرة الوزير الحاج ابراهيم باشا ولد ولى النعم اغتاظ لذلك وجهز جيشا كثيفا على كردفال لنظر المرحوم محمد بيك الدفتردار وقصد بذلك نكاية السلطان محمد فضل وارجف بدارفور ان عساكر مصر قادمة وخافوا اشد الخوف فقصد الدفتردار كردفال وعارضه عبد السلطان المقيم بكردفال وهو المدعو مسلم فقتله العسكر فى الحرب وملك كردفال ورما والاها وبقيت فى يد حضرة ولى النعم الى الآن وهى سنة ١٢٥٣ ثم ان السلطان صابون جهز قافلة عظيمة خرج فيها المرحوم السيد احمد الفاسى ومعه من الاموال ما لا يحصى كثرة وامرهم بالتوجه الى على طريق اوجله واخرج معهم جندا كثيفا لحمايتهم حتى دخلوا دار الزغاوة ودخلوا بلاد البديات ومنها ضربوا للبر فضلوا عن الطريق ونفد ما عندهم من الماء حتى ان الشربة من الماء القراح ابيعت بسبعين فرانسا وذبحوا ابلا كثيرة وصاروا يعصرون الفرث وياخذون الماء الذى فيه ويعرضونه للهواء حتى يبرد وابيعت الشربه بسبعة من الفرانسا هكذا حدثنى المرابط عمر المصراتى ومن كان معه والعهدة عليهم ولما اشتد العطش بالناس مات رفقتهم وكثير من احرارهم وايقنوا بالهلاك وكان الشريف احمد الفاسى معهم كما ذكرنا وكان عنده ماء كثير فطلبوا منه ماء لحياة انفسهم من الهلكة فابى وقال انا صاحب عيال وفى هذا الماء حياة لنفسى وعيالى وهؤلاء العيال صغار

نص استيلاء محمد على باشا على كردفان من السودان